

شعراء الموسم في الميزان نقد وتحليل

للأديب عباس حسان خضر

- ٢ -

صرعى الأعراسه

تناول شعراء الموسم مختلف الأعراس ، فلم يكن منها في صميم ما يحس به جمهور الشعب احساساً عميقاً شاملاً غير هذه القصيدة ، و قصيدة « وطني » للأستاذ محمد المهياوي ، فلقد كانت هذه العجيبة التي أعلنها الأستاذ أحمد الزين حبيسة في نفوس الكثيرين ، حتى لقد كانت زفرات الصغداء تقترن بتنفس الإعجاب ، ولقد تناول الأستاذ جزئيات الموضوع في استقصاء وبيان لا يتأتان لكاتب مطلق القلم من قيدي الوزن والقافية . استمع اليه يفند دعاوى العدل والمساواة والحضارة ، في حجج بالغة :

لا يدعى العدل قوم في عداتهم صرعى الكفريات تشكرو ظم أهلها
ولا المساواة ، والأفهام لو وزنت مع القباوة فيهم لا تساويها
ولا الحضارة من تجزى نوابغهم وحشية تمكن البيداء والتبها
والأستاذ الزين يأتي الماني من أبوابها ، ويتناول مفاتيحها
تأولاً حسناً ، ثم يجلوها في ألفاظ عذبة موقفة ؛ يؤلف بين
الشقائق ، ويجمع بين الأشياء والنظائر ، فلا تجد كلمة في غير
موضعها ، وإن ما يضطر اليه الشعراء من التقديم والتأخير
وغيرها لا تجد له أثراً في شعره ، وهذه قصيدة (صرعى الأعراس)
التي نحن بصدها ، اقرأ مطلعها :

هات الدمام ولا تسمع لثانها إن الزمان يصافي من يصابها
هل تستطيع أن تانظ كلمة وتقف ؟ لا ، لا بد أن يجري
البيت كله على لسانك حتى لتشعر كأنه ليس مؤلفاً من كلمات
ينفصل بعضها عن بعض

وفي الآيات التالية تصوير يدل على المهارة الشعرية :

ملء الناصب منهمومون قد جملوا من دونها سدنى القرنين بحميا
على مناعة ذاك السد تنفذه عصابة تتواصي في حواشيا

من كل أخرق تنسل المحظوظ به الى المراتب يسمو في مراقبها
خابى القوى عبقرى الجهل يشقله عبء الرياسة إذ يدعوه داعيها
فتراه قد استوعب في هذه القوالب الشعرية أكثر الماني
التي تتركب منها هذه الموصوفات ، وهذه غاية التصوير الشعري ؛
وفي « عبقرى الجهل » ظرف كثير ، وقد أخذت هذه الكلمة
سبيل الكلمات السائرة .

والقصيدة زاخرة بالماني ، منها ما هو عام يجول في نفس
الشاعر وفي نفوس غيره ، بيد أنه تفرد في ترجمة المعنى وصوغه
في صور طريفة ، ومنها ممان مبتكرة مضى اليها خياله سابقاً ،
فن النوع الأول قوله :

أرخصتمو غالى الأخلاق في بلد لم تغل قيمته إلا بغالها
يارب نفس أضاء الطهر صفتها أفدتموها فزلت في مهاويها
وكم قلوب كساها الحسن نضرتة دنستموها فعاد الحسن تشويها
أغلقتمو سبل الأرزاق لم تدعوا لفاضل الخلق سميًا في نواحيها
مدارس تفرس الأخلاق في نشأ ومنلق الرزق بمدالغرس يدويها
لا تلح طالب رزق في قوائمه إن الضرورات من أقوى دواعيها
ما أظهر الخلق المصرى لو طهرت تلك الرياسات من أهواء موحياها
ومن أبقار الماني قوله في الخمريات التي ابتدأ بها :

بكرًا تدور على الندمان لابسة عقدًا من الحب الدرى زهيا
سرى شذاها حيا أنفكأضعفت من الهيام بها عن أن تحييا
فهذا « الزين » أول من يلبس الكأس عقدًا ؛ والبيت الثانى
اشتمل على ممان لا يسلكها في بيت واحد إلا شاعر فحل ،
فالكأس ذات شذى يحيى الأنس ، والأنس تتأثر بالشذى حتى
يستهلكها ، فاتمود قادرة على تحية الكأس الوافدة عليها يقدمها
شذاها حيا . وإليك هذين التشبيهين في مواهب النوايح :

جادوا بأعمارهم حتى لجاحدم إن المواهب سلم في أعاديها
كالشمس تقبس منها عين عابدها وترسل النور في أحقان شانها
والنفس ان ملئت بالورد فاض على نفوس أعدائها بالود صانها
كالمسحب إذ ملئت بالنيث فاض على

جذب البلاد خلوف من هواميا

بمد أن تقرأ التشبيه الأول وتقضى حقه من الإعجاب قف
هنية عند التشبيه الثانى ، وانظر قوة معانيه وكثرة أوجه الشبه
فيه ، فالنفس المشبعة بالود كالمسحب المشبعة بالنيث ، والنفوس

قد يقال : إن الشاعر لا يُنقَد في رأيه ؛ ولو خالف به ما أجمع عليه الناس ، ما دام قد أخرج ما ذهب إليه مُخرَجَ لطف وإبداع . هذا صحيح ولكن هذه القصيدة تمد من الشعر الكتابي الذي يحص في الرأي ، لذلك ولأن القصيدة ذات أثر في نفوس الجمهور أحب أن أناقش الشاعر في رأيه هذا ، فإذا لو أنه أُجمع بين العناية بالبحث عن الآثار القديمة وبين تقدير ذوى المواهب ؟ على أن الأستاذ الزين نفسه يعمل في البحث عن الآثار القديمة ، ويدأب في دار الكتب على كشف كنوزها ، وينشئ لها من تحقيقه وتصحيحه ما يحدد بالها ويحفظ ، وهو الآن يعمل في كتاب نهاية الأرب ، وهو أثر من الآثار العربية القديمة

أفيجب أن يكف الأستاذ عن عمله هذا حتى يلتفت الناس إلى تقدير المواهب والعناية بالنوابع ؟ أم هو رأى شاعر كالزهرة يبنى مسها برفق لأن الدنف بها يودى بتصرتها ...

في قريتي

يتحدث الأستاذ أحمد الكاشف في هذه القصيدة عن خاله في قريته وما يتصل به في غيرها حديثاً تنفحك منه ريح القطرة المحبية ، وتجد فيه روح الشعر الجاهلي المرسل على طبيعته لا يُعرج على عمق ولا يرهق حكا ؛ فالشاعر يترسل في بيان ما يشعر به استرسال شعوره بما يترجم عنه ، وقد جاءت القصيدة مطبقة لكل ما يحيط بشاعر متمر مثل الكاشف قد طبع على الشعر ، وما به من الحوادث ما يستفيد منه شاعر متيقظ الذهن ، يقيم في قرية يطل منها على الحياة العامة في سائر البلاد ؛ فهو يطلع علينا بقوله :

جمت في السيد حول سائر الآل وملتق الآل حول كل آمالي
ويعنى في مثل هذه الديباجة العربية وهذا الأسلوب الجزل
يعرض شأنه مع آله ، ويمثل الأجيال المقبلة من النثر الذين
يرعاهم ويمدحهم للفد ، في قوله :

كأننى - وهم في الدار - مطلع منهم على أم شتى وأجيال
أعدم لنسبهم والقيلين غدا في هذه الأرض أجنادى وأبطال
ويصف حياته في الريف واعتزله فيه ، ثم يشكو من إهماله
شكاية لا يلبث بعدها أن يعود إلى ذكر قناعته بما يزاوله في
الريف قائلاً :

إن لم يكن لي ديوان وحاشية يوما فحسبي محاربي وأنوالي

التي تجردها كالأرض الجذب ، ومع هذا فالنفوس الخيرة تملو علو السحب وتفيض على جاحديها بالود كما تفيض السحب على الجذب بالنيث

والزين أول من يطالب بدم قتلى المواهب في قوله :

يا آخذين بقتل النفس قاتلها قتلى المواهب لم يسمع لسانها
كم للنبوغ وما بينكم سفكت باسم المآرب لا اسم الله مجربها
هلاقتصم لهما من ظلم سافكها وقل فيما جناه قتل جانبها
أولى الورى بخاص من ذوغرض يخشى المواهب تخفيه فيخفيها
ويصور القاتل في هذه الصورة النفسية البديعة يخشى المواهب
يقاتلها حتى لا تنطلى عليه وتمخه

وهذه القصيدة من الشعر الذي يقال فيه : الفاظه قوالب منانية ؛ فالعنى يسابق اللفظ حتى يكاد يسبقه ، وأعتقد أن نجاحها - إذ كانت قصيدة الموسم غير متنازعة - يرجع أكثر إلى شدة احساس الشاعر بمآنها ، وصدورها من شعوره العميق في ثوب من البيان السليم من التكاف والتعقيد

ويظهر أن حسن القصيدة شملنى عما عساه أن يكون فيها من المآخذ ؛ وإن كان الانصاف قد انتضاني أن أبدأ - ما استطعت - بمض حسناتها ، فإن الانصاف نفسه يقتضي أن أنظر إلى الكفة الثانية .. يقول :

كم للنبوغ دماء بينكم سفكت باسم المآرب لا اسم الله مجربها
يقال - مثلاً - : إن هذا الأثم ارتكبت باسم المصلحة العامة ، أى أن المصلحة العامة اتخذت اسماً فحسب لتبرير الفعل ، وتكون الحقيقة أن هناك بامناً على الفعل غير الذى اتخذ اسماً ؛ فالتمبير الذى في البيت وهو أن الدماء سفكت باسم المآرب يهيم أن المآرب اتخذت اسماً فقط ، مع أنه يريد أن المآرب هو الباعث الحقيقى على سنك دماء النبوغ

ويقول مندداً بأقامة الدور لحفظ الآثار :

ورافعين من البنيان شاهقه فيه التناثر قد صفت لرائها
فيها هو بنض من شأن الآثار ويقول عنها في الآيات التي
قبل هذا البيت : خرق وخزفات .. إذ به يسجها ذخائر ! ولو صح
عنده أنها ذخائر وثقائس لما كان هناك موضع للسخرية من الاهتمام بها ؛ على أنى لأدري لماذا يحمل الأستاذ الزين على الآثار هذه الحملة العتيقة ، هل العناية بها تمنع من تقدير ذوى المواهب ؟

وهو صاحب الشعر السياسي ، فلا بد أن يفخر بما أبداه في
شعره من الآراء النافعة في الحياة السياسية عابداً على القوم إلهامهم
له ، فيقول :

ألست ممن دعا الأحزاب فالتفت إلى الذي فيه كانوا أسعدال
أرى المودة بالقطار بينهم ولم أفر بينهم منها بمقتال
ثم يتكلم في المحادثات الجارية الآن بين الجانبين : المصري
والبريطاني كلاماً جامعاً ، على قصره ، ويصيب به الغرض ، فيقول :
ولم أزل بينهم للخصم متقياً دخائلاً هي في ذهني وفي بالي
أخشى على رسلم نياته وهم منه أمام جلايد وأدغال
وما تزال كما كانت سياسته يدور فيها بالوان وأشكال
وموضع الند أرجو عنده لم لاموضع الصيدهن أنياب رثبال
إلى أن يقول :

وكم يكون لهم من ضيقهم فرج كما تدافع أهوال بأهوال
ثم يعطف على إخوانه الشعراء فيتألم لعدم نيلهم ما يستحقون ،
ويخاطبهم بقوله :

وتلكون من الدنيا سرارها ولا تعلمون منها الموضع العالي
وما يتاح لكم في الأرض متسع كما يتاح لعراف ودجال
ثم يدفع ما يقال من اتقضاء الشعر بعد شوق وحافظ بأن
مصر ملأى بأشباهه من الشعراء ، وهو ، باعتزازه ، يرى في أن
هذا الكفاية ، إلى أن يقول في ذلك :

إن لم ير الحى بعد الميت منزلة منهم فلاخير في المحزون والسالى
والنصيدة - كما ترى - ليس لها وحدة ، ولا تدور حول
فكرة ؛ وإنما موضوعها شاعر يقول فيها يحس به من الحياة
الفروية ويمبر عما يخالجه نحو بعض الشؤون العامة ؛ وهي ممتمة
مقننة للنفس بما تتطلبه من الشعر ، وإن كان للناقد فيها واقف
للتواخذة

الشاعر قليل العناية باللامعة بين الماني التي تناولها ، فني
القصيدة كثير من الأبيات التي يقول عن مثلها نقاد الأدب من
القدماء : « أبناء علة » أي أنها متنافرة تنافر الاخوة غير الأشقاء
مثل هذين البيتين :

لو كان للنبت احساس رأفت به وبت للنبت أيضاً غير أكال
كأنما قريتي ما دمت ساكنها ولاية وكأني الممددة الوالي
وبينا تجده بمدح عشرة من يشارهم وما يلقاه فيها من عاطفة ،
إذ بك تراه بنى على قومه أنهم لا يساعدونه في حمل أعبائه كما قام

بأعبائهم ، وهو انه لديهم إلى أن يقول في هذا :
ولو بليت بجبارين ما بلغوا مدى الأحية من قهرى وإذلال
فيبدو في ذلك كأنه متناقض ؛ والواقع أنه يريد من الأولين
الذين يندى ارتياحه إلى عشرتهم - أبناء قريته ؛ أما الشكوى
فمن عدام من أبناء البلاد ، ولكنه لم يبين ، بل مزج الكلام
وراح يتحدث عن الفريقين كأنهم فريق واحد !
قرأت هذا البيت :

أعدم لند والقبلي غدا في هذه الأرض أجنادى وأبطال
فوقفت عند « أجنادى وأبطالى » ما شأنهم ؟ أيجبر بهم
عن « القبليين » إذن يجب أن تكون « القبليون » ولكن في
الهامش أن الراو للمطف ، فيبقى « أجنادى وأبطالى » لا شأن
لهم بما قبلهم ولا بما بعدهم

وهو يفسر هذا البيت :

ما أحسن الشمل أراعاه وأشهده لأمهات وآباء وأطفال
عما بعده :

فلا أرى فرقة في الدهر تاطمة لمطمئن وخفناق وجوال
ولا يصاب هديل في أليفته ولا الغضنفر في غيل وأشبال
وعلماء الأدب يعدون من عيوب الماني ألا يستكمل التفسير
أفراد المفسر ؛ فهو قد بين شمل الآباء والأطفال بقوله : « ولا
الغضنفر في غيل وأشبال » ولم يأت بذكر الأمهات ، وزاد الأليفة
ويقول إنه يبش بالقتل والفاكحة ، ولا يأكل اللحم رافة
بالحيوان إلى أن يقول :

وقد أقاتل للحى المسلم من طير ومن حيوان كل قتال
لو كان للنبت احساس رأفت به وبت للنبت أيضاً غير أكال
فكيف يرأف بالحيوان ثم يقاتل حيواناً آخر ، لو قال :
« أدافع » بدل « أقاتل » لكان مقبولاً . أما قتال الحيوان فلا
تقتضيه الرافة به . ويقول إنه لو كان للنبت احساس لم يأكله
أيضاً ؛ إنه اذن لن يجد شيئاً يمش به ، وماذا يفعل لو علم أن
العلم الحديث أثبت أن للنبت احساساً ؟
وقال :

ولم أجد من وضيع الذكر خامله ماسأني من رفيع الذكر مختال
قابل بين وضيع الذكر ورفيعه ، وهذه مقابلة سمجة . أما
المختال فلا يقابل خامل الذكر ، إنما يقابل الخامل النابه
فباس مساهم خضر (بضيع)